من الجذور إلى الدولة.. كيف انتصرت الثورة الإسلامية في إيران واستمرّت؟

من الإمام الخميني إلى الإمام الخامنئي

الوفاق
د. أكرم شمص

لم تكن الثورة الإسلامية في إيران حدثًا مفاجئًا أو انفجارًا عابرًا في سياق القرن العشرين، بل ثمرة مسار تاريخي طويل من التراكمات السياسية والاجتماعية والثقافية؛ قاده وعيٌ ديني - حضاري عميق، وتُوِّج بمشروع ثوري مكتمل الأركان أعاد تعريف العلاقة بين الشعب والسلطة والهُويّة والاستقلال. وتمثل الثورة الإسلامية استثناءً تاريخياً في العصر الحديث؛ فهي لم تكتفِ بتغيير نظام سياسي، بل أعادت صياغة "الهُويّة الوطنية" في مواجهة التغريب، وحوّلت إيران من قاعدة للنفوذ الاستعماري إلى قطبٍ دولي يطرح معادلة "لا شرقية ولا غربية".

إيران قبل الثورة.. دولة بلا سيادة وهُويّة مهدَّدة

مع مطلع القرن الماضي، كانت إيران تعيش حالة انحطاط شامل: تبعية سياسية واقتصادية، اختراق أجنبي مباشر، وغياب مشروع نهضوي وطني.

انقسمت النخب بين تيارٍ أصيلٍ يرى الإصلاح من داخل الهُويّة الإسلامية والحضارية، وتيارٍ متغرّبٍ دعا إلى القطيعة مع الدين والتراث واللغة، وتقليد النموذج الغربي قسرًا.

ورغم نجاح الحركة الدستورية عام ١٩٠٥ في إقرار دستور وبرلمان، سرعان ما تكشّف أنّ المشروع كان مُدارًا بريطانيًا، فانكفأ التيار الأصيل إلى مسارات مقاومة سياسية وثقافية ودينية، أبرزها دور العلماء والحوزات، وشخصيات فكرية اسلامية في مواجهة الهيمنة الأجنبية

من الانقلاب إلى التبعية الكاملة

بدعم بريطاني، صعد رضا خان إلى الحكم، ثم ورثه ابنه محمد رضا بهلوي، لتدخل إيران مرحلة قمعٍ ممنهج ومحاولة اقتلاع الهُويّة الإسلامية بالقوة. وبعد انقلاب ١٩٥٣ المدعوم أمريكيًا ضد حكومة محمد مصدّق، أصبحت إيران قاعدة متقدمة للنفوذ الأمريكي-الصهيوني، وأداة لضرب حركات التحرر في المنطقة، بينما تولّى جهاز «السافاك» القمعي إخضاع المجتمع بالخوف والفساد، ومحاولة طمس الهوية الدينية لصالح ثقافة الاستهلاك والتحلل.

لحظة الانفجار.. من قم إلى سقوط الشاه

عام ١٩٧٨ انطلقت الشرارة من قم، وتحوّلت «الأربعينيات» إلى موجات جماهيرية عارمة، التزمت السلمية والانضباط رغم المجازر، أبرزها «الجمعة السوداء». ومع انتقال الإمام روح الله الخميني(رض) إلى باريس، تضاعف الزخم العالمي للثورة. وفي ١٦ كانون الثاني ١٩٧٩ غادر الشاه البلاد، ثم عاد الإمام إلى طهران في مشهد تاريخي أنهى النظام الملكي في ١١ شباط ١٩٧٩.

الإمام الخميني(رض).. وبناء الوعي الثوري

في هذا السياق، برز الإمام بوصفه قائدًا فكريًا وروحيًا، لا مجرد معارض سياسي. ومنذ انتفاضة الستينيات ونفيه، بلور مشروع «العودة إلى الانتماء الحضاري»، وفضح مثلث الهيمنة: الشاه – أمريكا – العدو الصهيوني. ومن منفاه في النجف الأشرف ثم باريس، أدار الإمام "حرب وعي" شاملة، محوّلًا الجماهير من حالة الاستسلام إلى حالة "الهجوم السلمي".

• عظمة ٢٢ بهمن: في فبراير ١٩٧٩ تحققت المعجزة بسقوط النظام الشاهنشاهي المدجج بالسلاح أمام "قبضات الزهور" والجماهير العزلاء.

• دولة المؤسسات: في سرعة لا مثيل لها، أُقيم استفتاء شعبي (٩٨٪ لصالح الجمهورية الإسلامية) ليؤكد أن الثورة لا تعني الفوضى، بل تعني "بناء القانون" المنبثق من إرادة الشعب. لم تكن دعوته احتجاجًا آنياً، بل تأسيسًا نظريًا لبديل كامل: الاستقلال، والحرّية، والجمهورية الإسلامية، حيث تتحول الإرادة الشعبية المؤمنة إلى قوة تاريخية قادرة على كسر التفوق المادي.

السياسة الخارجية.. "لاشرقية ولاغربية"

نجحت الثورة في كسر الثنائية القطبية، وأصبحت إيران اليوم من أبرز المدافعين عن قضايا المستضعفين، وعلى رأسها القضية الفلسطينية، محوّلةً إياها من قضية قومية محدودة إلى قضية إسلامية وعالمية كبرى. وبعد رحيل الإمام الخميني(رض)، تسلّم الإمام الخامنئي الراية في ظروف دولية وإقليمية بالغة التعقيد، لتبدأ مرحلة "تثبيت الاقتدار" وتحويل الثورة إلى "نموذج دولة" يسعى إلى الجمع بين الاستقلال والسيادة وبناء المؤسسات.

من التأسيس إلى الاستمرار.. عهد الإمام الخامنئي

بعد رحيل الإمام الخميني(رض)، انتقلت القيادة إلى الإمام الخامنئي لتدخل الثورة مرحلة «ترسيخ الدولة». هنا لم يعد التحدي إسقاط نظام، بل حماية النموذج في مواجهة حصار وضغوط دولية وحروب إدراكية. وفي عهده، تحولت الجمهورية الإسلامية إلى لاعب إقليمي مستقل، ورسّخت معادلة الردع، ووسّعت مشروعها العلميeوالتقني، وكرّست سياسة «لا شرقية ولا غربية» كنهج عملي في العلاقات الدولية.

الوحدة الإسلامية والتحول الروحي

أكد الإمام الخامنئي – استكمالاً لنهج الإمام الخميني – أن وحدة الشيعة والسنّة "عامل قدرة" استراتيجي، وأن تفكيك المجتمعات يبدأ من ثغرة الانقسام الداخلي. كما ركزت الدولة على "التزكية والتربية"، بما أنتج جيلاً من الشباب يجمع بين "التقوى المعنوية" و"التميّز العلمي"، ويقرأ الدين بوصفه قوة بناء لا مجرد طقسٍ اجتماعي.

الاقتدار العلمي والتقني

تحوّلت إيران من دولة تستورد أبسط احتياجاتها إلى دولة تنافس في مجالات متعددة، أبرزها:

• النانو تكنولوجيا والفضاء مع حضور في مراتب متقدمة.

• الطاقة النووية السلمية كعنوان لرفض "الاحتكار العلمي" الغربي.

• التصنيع العسكري: من التبعية للمستشارين الأجانب إلى إنتاج الصواريخ والمسيرات والمنظومات الدفاعية بقدرات محلية واسعة.

ثورة برسالة ودولة بمؤسسات

تميّزت الثورة الإسلامية بأربع خصائص مفصلية:

١. الشعبية: مشاركة كل فئات المجتمع.

٢. الرسالية: إسقاط النظام الشاهنشاهي وإقامة بديل حضاري، لا إصلاحات تجميلية.

٣. السلمية المنضبطة: مقاومة بلا فوضى.

٤. السرعة المؤسسية: استفتاءات ودستور وانتخابات خلال وقت قياسي.

وتجلّت الأهداف في شعار جامع: استقلال – حرّية – جمهورية إسلامية، وتُوِّجت بدستور ١٩٧٩ الذي جعل السيادة للشعب ضمن إطار القيم الإسلامية.

ثمار الثورة.. من الداخل إلى العالم

• سياسيًا: كسر التبعية، وإسقاط هيبة القوى العظمى، والدفاع عن المستضعفين.

• اجتماعيًا: صون كرامة الإنسان، وتمكين المرأة ضمن منظومة القيم.

• اقتصاديًا: السعي إلى العدالة الاجتماعية رغم الحصار والحرب.

• عسكريًا: بناء قوة ردع ذاتية وصناعة دفاعية مستقلة.

• علميًا: نهضة معرفية متسارعة دفعت إيران إلى مصاف الدول الصاعدة.

• حضاريًا: إحياء الإسلام المحمدي الأصيل، وتعزيز وحدة الأمّة، وبث روح المعنى في عالمٍ مأزوم ماديًا.

* الفلسفة الراهنة: "يأس العدو" كاستراتيجية بقاء

وفق الرؤية التي تتقدّم في خطاب القيادة، فإن الهدف المرحلي يتمثل في إيصال الخصم إلى "مرحلة اليأس". وهذا اليأس لا يأتي بالصدفة، بل هو نتاج:

• وحدة الكلمة: حضور شعبي واسع يصدّ محاولات التفكيك.

• قوة الفكر: وعي سياسي يمنع الاختراق الثقافي.

• الاستمرارية: قدرة الثورة على البقاء فتية رغم مرور عقود طويلة.

خلاصة المعنى

انتصار الثورة الإسلامية لم يكن انتصار يومٍ أو نظامٍ فحسب، بل انتصار فكرة: حين تتجذّر الهُويّة في وعي الشعب، وتتحوّل الإرادة الجماعية إلى مشروع، يصبح التاريخ قابلًا لإعادة الكتابة.

ومن الإمام الخميني(رض) إلى الإمام الخامنئي، تثبت التجربة الإيرانية أن القوة الحقيقية ليست في السلاح وحده، بل في الإنسان الواعي؛ وأن يأس الخصم أمام إرادةٍ لا تُشترى ولا تُكسَر، هو الانتصار الأعمق والأبقى.

إن الثورة الإسلامية في إيران ليست مجرد "تاريخ يُحكى"، بل هي "مستقبل يُصنع": شعب يمتلك إرادة الاستقلال وبصيرة الإيمان قادر على إرغام القوى العظمى على التراجع، ليظل يوم "٢٢ بهمن" إعلاناً سنوياً بأن السيادة حق للشعوب، وأن المستقبل لمن يملك المعنى والاقتدار.

من الحضور الشعبي إلى تثبيت المكانة الدولية..

أبعاد الاقتدار الوطني في ٢٢ بهمن

آية‌الله عباس كعبي
عضو هيئة رئاسة مجلس خبراء القيادة

٢٢ بهمن ١٤٠٤ (١١ فبراير ٢٠٢٦) حدثٌ حضاريّ حيّ، ومشهدٌ واضح لإنتاج الاقتدار الوطني في ساحة المواجهة الحقيقية لصراع الإرادات في مواجهة الفتنة الأمريكية – الصهيونية، وعملٌ صالحٌ حضاريٌّ كبير صانعٌ للتمدّن. في هذا اليوم، أثبت الشعب الإيراني مرة أخرى أن الثورة الإسلامية حقيقة جارية حيّة نابضة ومتجددة ومولّدة للقوة.

يوم الله ٢٢ بهمن هو «إحياء روح الثورة في جسد الأمّة الملحمية»، و«ميدان إنتاج القوة» في مواجهة الأعداء. في منطق الثورة الإسلامية، لا تُختزل القوة في السلاح أو الاقتصاد أو التكنولوجيا فحسب، بل تتجذر في الإرادة الجماعية، والإيمان، والبصيرة، وحضور الشعب.

٢٢ بهمن ١٤٠٤ هو مشهد إعادة إنتاج الشرعية الشعبية للنظام، ورمز اتصال الأمّة بأهداف الإمام الخميني(رض) وشهداء الإسلام وإيران الساميين، وتجديد البيعة الملحمية مع قائد الثورة الإسلامية سماحة آيةالله العظمى الإمام السيد علي الخامنئي. إن هذا الحضور يُعدّ بحد ذاته فعلًا استراتيجيًا في الحرب المركبة التي يشنّها العدو، وفي ميدان تنافس الإرادات، ومظهرًا للمقاومة الحضارية وممهّدًا للفتح الحضاري.

شموخ الشعب الإيراني؛ قوةٌ تتجلّى

مقوّمات شموخ الشعب في ٢٢ بهمن ١٤٠٤ تمثلت في الحضور الشامل، والإيمان الواعي العاشق الشعبي المقترن بالبصيرة ومعرفة العدو، والحضور الوفيّ في الميدان بحرية وتنظيم شعبي، ومشاركة جميع التوجهات والتنوعات القومية والمذهبية والدينية، في صورة تجسّد التكامل والتنوع بين القوميات والمذاهب والأجيال، والمدينة والريف، والنخب والجماهير، والصمود رغم الضغوط والعقوبات الاقتصادية والحرب الإعلامية والعمليات النفسية المستمرة.

إن هذا الحضور المهيب يحمل رسالة واضحة: إن الشعب الإيراني يعيش مع الثورة الإسلامية، ولن ينساها أبدًا.

إن إنتاج الاقتدار الوطني في ٢٢ بهمن هذا العام هو واقع ميداني يُنتج على ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: الاقتدار الداخلي

- تعزيز الرصيد الاجتماعي
- زيادة الثقة الوطنية بالنفس
- تثبيت رابطة الشعب بالنظام

المستوى الثاني: الاقتدار الإقليمي

- تعزيز معنويات جبهة المقاومة
- توجيه رسالة صمود إلى الشعوب المظلومة
- مواجهة رواية العدو الفاشلة بشأن «عزلة إيران»، وإثبات ديمومة الثورة الإسلامية الإيرانية وبقاء النظام المقدس للجمهورية الإسلامية الإيرانية حيًّا نابضًا بالحيوية

المستوى الثالث: الاقتدار الدولي

- سقوط مشروع العدو القائم على استراتيجية «الانهيار من الداخل»
- فشل عمليات نزع الشرعية
- تثبيت إيران بوصفها لاعبًا مقاومًا ثابتًا ومستقرًا

ذلّ الأعداء؛ سقوط المشاريع متعددة الطبقات

إن أعداء الثورة الإسلامية، ولا سيما الولايات المتحدة والكيان الصهيوني، ينهون ٢٢ بهمن ١٤٠٤ بعدة مشاريع فاشلة:

١. فشل مشروع بثّ اليأس: كما في كل مرة، يأتي الشعب بالأمل والإيمان والصلابة.

٢. فشل مشروع صناعة ثنائية الشعب والنظام: إن حضور الشعب يُسقط هذه الثنائية المصطنعة مرة أخرى.

٣. فشل حرب الروايات: إن صور الميدان تُبطل الأكاذيب الإعلامية كافة.

إن ذلّ العدو، في استمرار هزيمته في حرب الإثني عشر يومًا المفروضة، وفشله في الفتنة الأمريكية – الصهيونية، يتجلّى في ٢٢ بهمن (ذكرى انتصار الثورة) عبر الواقع الميداني، ويقضي على الروايات المصطنعة.

٢٢ بهمن؛ ردّ الشعب على الحرب المركبة

٢٢ بهمن ١٤٠٤ كان الردّ الصريح للشعب الإيراني على العقوبات والتهديدات والضغوط السياسية وغطرسة دونالد ترامب وبنيامين نتنياهو ونظام الهيمنة، وعكس روح المقاومة لدى الشعب الإيراني العظيم. شعبٌ أثبت دومًا أنه الرصيد الاستراتيجي للنظام الراسخ المقتدر ذي البُعد الحضاري للجمهورية الإسلامية الإيرانية.

إن الحضور الحضاري للشعب في ٢٢ بهمن هو ثورةٌ جذريةٌ متواصلة على الطغيان والاستبداد والاستعمار والجاهلية الحديثة، وهو السلاح الاستراتيجي المانح للحياة للثورة الإسلامية.

٢٢ بهمن ١٤٠٤؛ وآفاق المستقبل

بيّن ٢٢ بهمن ١٤٠٤ أن الثورة الإسلامية حيّة، حاضرة في الميدان، وأن العدو وقع في خطأ استراتيجي في حساباته. المستقبل للشعوب المقاومة، والنظام الدولي الجديد سيكون من نصيب الشعوب المستقلة، فيما القوى المتآكلة للنظام الغربي آخذة في الانهيار.

٢٢ بهمن ١٤٠٤ هو يوم تجلّي هذه الحقيقة: إن الاقتدار الوطني الإيراني ينبع من إيمان الشعب، ويتجلّى شموخه في ساحة الحضور، ويظهر ذلّ الأعداء في فشل حساباتهم. هذا الطريق مستمر؛ فالثورة الإسلامية ليست حادثة منتهية، بل هي مسار الاستقلال والحرّية والتقدم والعدالة والديمقراطية الدينية، وإنتاجٌ متواصل للكرامة وصناعة العزة والاقتدار للشعب الإيراني وللأمة الإسلامية.

العميد منير شحادة في حوار مع KHAMENEI.IR:

خطوط الملاحة والطاقة وأسواق النفط ستكون في قلب الصراع حتى لو لم تُستهدف مباشرة

ينشر موقع KHAMENEI.IR الإعلامي نص المقابلة مع العميد المتقاعد منير شحاده حول الجذور الاستراتيجية للصراع بين الولايات المتحدة والجمهورية الإسلامية الإيرانية، مؤكّدًا أن جوهر العداء الأمريكي يكمن في خروج إيران من معادلة الهيمنة ورفضها الخضوع، ومشدّدًا على أن أي مغامرة عسكرية ستُواجَه بجبهة مقاومة واسعة تحوّل المنطقة إلى ساحة حرب شاملة تطال القواعد الأمريكية والعمق الصهيوني، محذّرًا من أن تحريض "إسرائيل" للحرب سيؤدي إلى دمار مهول وأزمة نفط عالمية.

الصراع بين الولايات المتحدة وجمهورية إيران الإسلامية كان موجوداً منذ بداية الثورة. ما هي الأسباب والعوامل التي ترى أنها وراء هذا الصراع على مرّ العقود الماضية؟

الصراع بين إيران والولايات المتحدة منذ الثورة الإسلامية لم يكن يوماً صراعًا أيديولوجيًا فقط، بل صراع مصالح وهيمنة. منذ انتصار الثورة الإسلامية، خرجت إيران من المعادلة التي كانت واشنطن قد صمّمتها للمنطقة: دولة مركزية، تابعة، تضبط الخليج الفارسي وتؤمّن أمن "إسرائيل". هذا الخروج شكّل كسرًا لمعادلة السيطرة الأميركية أكثر مما شكّل تهديدًا عسكريًا مباشرًا. العوامل الأساسية للصراع هي فقدان الولايات المتحدة لإيران بوصفها ركيزة نفوذ إقليمي بعد ١٩٧٩، ما شكّل سابقة خطيرة قد تُغري دولًا أخرى بالتحرر، ورفض إيران الاعتراف بـ"إسرائيل" أو إدماجها أمرًا واقعًا في المنطقة، في وقت ترى فيه واشنطن أن أمن "إسرائيل" جزء من أمنها القومي، وبروز "إسرائيل" بوصفها قوة احتلال توسعية تعتمد على التفوق العسكري لا على التسويات، ما جعل أي قوة إقليمية رافضة لها مصدر انعدام استقرار في نظر واشنطن، بالإضافة إلى تحوّل إيران إلى لاعب إقليمي مستقل يمتلك قرارًا سياسيًا وعسكريًا خارج الإملاءات الأميركية، وهو ما لا تتحمله الإمبراطوريات. خلاصة القول، الولايات المتحدة لم تدخل في صراع مع إيران لأنها خطِرة فقط، بل لأنها غير خاضعة، ولأن "إسرائيل" ترى في أي قوة مستقلة تمتلك قدرات صاروخية حديثة ومدمّرة تهديدًا طويل الأمد لمشروعها التوسعي.

الأمريكيون يهددون طهران صراحة ويتحدثون مرة أخرى عن الخيار العسكري الذي دائمًا ما طرحوه. إذا قررت واشنطن تنفيذ هذه التهديدات، هل سنشهد جبهة موحدة للمقاومة تدعم الجمهورية الإسلامية؟

الحديث الأميركي عن الخيار العسكري ليس جديدًا، ولكنه غالبًا أداة ضغط لا خطة حرب جاهزة. لكن أي ضربة فعلية ستُنتج واقعًا مختلفًا تمامًا. في حال الهجوم، إيران لن تُقاتَل وحدها، ليس حبًا بها فقط، بل لأن استهدافها يعني كسر توازن إقليمي قائم. ما يُسمّى محور المقاومة ليس غرفة عمليات مركزية، بل شبكة مصالح متقاطعة ترى في ضرب إيران تهديدًا مباشرًا لوجودها. الردّ لن يكون تقليديًا أو متماثلًا، بل متعدد الجبهات، متفاوت الإيقاع، ومدروسًا لتفادي حرب شاملة سريعة. لكن الواقعية تفرض القول إن الدعم لن يكون تلقائيًا أو مفتوحًا بلا حسابات؛ كل طرف سيعمل وفق أولوياته وقدرته. الولايات المتحدة تدرك أن أي حرب من هذا النوع لن تكون نظيفة ولا محدودة، وهذا ما يجعلها تتردد. خلاصة القول، نعم، ستتشكل جبهة ردّ واسعة، ولكن ليس بالضرورة على نحو علني أو متزامن. هذا بحد ذاته ما تخشاه واشنطن ويدفع "إسرائيل" إلى التحريض.

هل تبعات التهديدات الأمريكية ضد إيران ستقتصر فقط على جغرافيا إيران، أم أن تبعات هذه التهديدات قد تؤثر في دول أخرى في المنطقة، بالنظر إلى وجود القواعد العسكرية الأمريكية في دول عدة؟

يقال إن الحرب ستبقى داخل إيران، وهذا وهم أميركي متكرر، أو ترويج إعلامي مقصود لطمأنة الحلفاء. الواقع يقول إن القواعد الأميركية المنتشرة في الخليج الفارسي والعراق وسوريا ليست محايدة، بل أهداف محتملة في أي تصعيد. خطوط الملاحة والطاقة وأسواق النفط ستكون في قلب الصراع، حتى لو لم تُستهدف مباشرة. الدول التي تستضيف قواعد أميركية ستجد نفسها طرفًا في المعركة رغماً عنها، ولا سيما إذا استُخدمت أراضيها نقطة انطلاق. هنا يظهر التناقض الأميركي وهو أن واشنطن تُهدد بالحرب، ثم تُطالب الدول المجاورة بالاستقرار وضبط النفس، بينما "إسرائيل" تُحرّض وتضغط لتوسيع المواجهة، وهي تعلم أن الحرب ستُدار بعيدًا من أرضها. الخلاصة أن أي ضربة لإيران ستُفجّر سلسلة ارتدادات إقليمية، ولن تبقى حربًا جغرافية، بل ستتحول إلى أزمة نظام إقليمي كامل.

خلاصة القول، غطرسة الولايات المتحدة تكمن في اعتقادها أنها قادرة على إعادة ضبط المنطقة بالقوة، وتحريض "إسرائيل" نابع من خوف وجودي طويل الأمد وسعي للوصول إلى "إسرائيل الكبرى" (الحلم الصهيوني)، سيكون هناك آلاف الضحايا ودمار كبير يطال المنطقة كلها وأزمة نفط عالمية ليصل سعر البرميل إلى أرقام خيالية، كما إن الدمار في "تل أبيب" وحيفا سيكون مهولاً. أما المنطقة، فهي التي ستدفع الثمن إن تحوّلت هذه التهديدات إلى حرب.